

مقاربة في مناهج تحليل المحادثة (قضايا وحدود)

الطالبة: أحلام بن بناحي

جامعة الجزائر 02

ملخص:

عرف الدرس اللساني في النصف الثاني من القرن العشرين تحولات كبرى، كان الدافع لها الاهتمام بالبعد التواصلية للغة. حيث حاول الدارسون تجاوز البحث في اللغة من حيث هي بنية، إلى البحث في اللغة من حيث هي استعمال. هذا الانتقال في دراسة ما هو منجز من الكلام أدى إلى ظهور نماذج عديدة من البحث أسهمت في نظرية الخطاب وتشكيل أبعاده المنهجية، وضبط آليات التحليل فيه. إن من بين الدراسات التي عُنيت بمقاربة وتحليل اللغة في الاستعمال ما يعرف بتحليل لمحادثة، هدفه دراسة الخطابات الشفهية في إطار التفاعل الاجتماعي بصفته إنتاجا لسلوك الحياة اليومية. بناء على ما سبق حاولنا في مقالنا هذا التركيز على إسهامات تحليل المحادثة، ومناقشة أهم أفكارها.

الكلمات المفتاحية: تحليل المحادثة، الخطاب، اللغة.

The abstract:

During the second half of the twentieth century, the linguistic lesson had known great transitions; whose motive was to pay more attention to the communicative dimension of the language, where the scholars had tried to go beyond studying this latter as being a structure to searching in the language as being an usage. This transition in studying the accomplished speech led to the appearance of many models of the research, which contributed in the discourse theory and in forming its methodological dimensions, as well as setting its analysis mechanisms.

Among the studies that focused on the language approach and analysis in use we find what is known as the conversation analysis ;whose objective is to study the orale speeches in the framework of the social interaction ;as being a production of the daily life behaviour. According to the previous points, we have tried, in this article, to concentrate on the conversation analysis contributions and to discuss its most important thoughts.

Key words: The conversation analysis - The speech - The language.

عرف الدرس اللساني في النصف الثاني من القرن العشرين تحولات كبرى، كان الدافع لها الاهتمام بالبعد التواصلية للغة. حيث حاول الدارسون تجاوز البحث في اللغة من حيث هي بنية ، وهو ما يمثل الاتجاه البنوي بمختلف مدارس، إلى البحث في اللغة من حيث هي استعمال وهو ما يمثل الاتجاه التداولي، هذا التوجه الأخير ترتب عنه الالتفات بشكل مركز لمسألة الخطاب بالبحث في مختلف صوره وأنماطه وكذا شروط إنتاجه.

إنّ " هذا الانتقال في دراسة ما هو منجز من الكلام أدى إلى ظهور نماذج عديدة من البحث أسهمت في نظرية الخطاب وتشكيل أبعاده المنهجية، وضبط آليات التحليل فيه، ومن أهمها نموذج سانكلار (Sinclair) وكولثارد (Coulthard)، الذي يرى بيرتن أنّه النموذج الوحيد فقط من بين نماذج كثيرة في اللسانيات واللسانيات الاجتماعية والانثروبولوجيا وفلسفة اللغة الذي يمثل إطارا نافعا لتحليل انتشار اللغة في أكثر من جملة أو تلفظ طويل ¹. بهذا انتهى تحليل الخطاب إلى ميلاد مجال جديد في البحث يعرف بتحليل المحادثة هدفه " دراسة الخطابات الشفهية في إطار التفاعل الاجتماعي بصفته إنتاجا لسلوك الحياة اليومية" ². سنحاول في مقالنا هذا عرض الاتجاهات التي عيّنت بتحليل المحادثة ، ومناقشة أهم أفكارها.

1. تحليل المحادثة على أساس المنهج العرقي:

1.1. الإثنية المنهجية (الانثروبولوجية) (Ethnométhodologie):

ظهر في سنة (1959) تيار ذو أصل أمريكي في علم الاجتماع، تولد منه تحليل تحادتي يعرف بـ: الإثنية المنهجية (Ethnométhodologie). (Garfinkel، ومن بين الدراسات التأسيسية في هذا المجال دراسات كل من هارولد جارفينكل وهارفاي ساكس (H. Sacks).

" إنّ موضوع هذا التخصص هو الضمنيّات Implicites الاجتماعية المتنوعة، أيّ ما نعتقد أنّه من قبيل المكتسبات (...)، ويدرس خاصة الطرق/ المنهجيات والأساليب التي يسخرها الفواعل الاجتماعيون لتسيير مشاكل اتّصالهم في الحياة اليومية ³. وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ الإثنية المنهجية تعدّ وريثة للطواهرية الاجتماعية لـ شوتز، والتفاعلية الرمزية لـ ج. ه. ميد، ومدرسة شيكاغو. وتكون وظيفة عالم الاجتماع من هذا المنظور " إظهار

مقاربة في مناهج تحليل المحادثة (قضايا وحدود)

الإجراءات أو المناهج الإثنائية وتحليلها، أي المعارف والخبرات العلمية وقواعد السلوك والتأويلات الروتينية⁴.

وبناء على الاهتمام الذي يوليه علماء الإثنائية المنهجية لأعمال الحياة الاجتماعية المبتدلة ينبع اهتمامهم بالنشاط التواصلي ويرون أن "السلوك اللغوي مورد مركزي لدى الفاعلين الاجتماعيين. والتفاعل شكل قاعدي لبناء العالم الاجتماعي بناء تفاعلياً، تسمح تقنيات التسجيل بدراسته بأكثر سهولة كما يبرز كذلك ساكس. وقد رُفعت خاصيتان للخطاب إلى رتبة المفاهيم المفاتيح في المقاربة الإثنائية المنهجية، الخاصة الأولى هي الإلحاقية (لا يكون لعبارة معنى إلا بإحالتها على مقام التلفظ) (...)، والخاصية الثانية هي انعكاسية الممارسات الاجتماعية⁵، ويمكن تلخيص كل ما قيل فيما يلي:

يتأسس التحليل على جمع المعطيات الطبيعية عن طريق الملاحظة.

يقع التحليل باستقصاء النشاطات المستعملة عند التفاعل.

وتكون هذه الأدوات مستعارة إلى حد بعيد من الإثنائية لاسيما إثنية التواصل.

وتكون هذه الأدوات مستعارة إلى حد بعيد من الإثنائية لاسيما إثنية التواصل. إن الهدف الأساسي من دراسة التخابط من زاوية التحليل الإثنوميتودولوجي هو دراسة الخطاب في إطار التفاعل الاجتماعي بصفته إنتاجاً يقوم به متكلمان أو أكثر، ووصف التبادل الكلامي بين المتكلمين بوصفه حالة خاصة من التفاعل الاجتماعي، وفي هذه الإطار أصبح الهدف من تحليل المحادثة تفسير الطرق المشتركة التي يستعملها المتفاعلون في إنتاج سلوكهم ومعرفته، وكذلك سلوك الآخرين⁶. هذا المنظور في تحليل يعدّ التخابط "عملية اجتماعية متواصلة تشمل أساساً مبادلات لفظية أو أكثر (...). فالتفاعل عملية شاملة ومعقدة حاول محللو المحادثة تفسير العلاقات المناسبة فيه. إذ تبني هذه العلاقات عملية الاتصال وتجعل الأطراف المشاركة في الحديث فاعلة وإيجابية وتنفي الترتيب وتوزيع الأدوار بين العناصر المكونة لها⁷."

2.1. الإسهامات ذات الطابع الأنثروبولوجي العرقي (إثنية التواصل):

مقاربة في مناهج تحليل المحادثة (قضايا وحدود)

تتّصف إثنية التواصل من بين مختلف التيارات التفاعلية في أمريكا الشمالية بأسسها الأنثروبولوجية، التي ضبّطت لها ميدان بحث واسع" هو الدّراسة المقارنة للسلوكيات التواصلية في مجتمعات متنوعة، وغاية نظرية هي بناء التواصل في نظام ثقافي على غرار القرابة أو الجنس. ومقاربة متعدّدة الاختصاصات تمتح من علم الأعراف واللّسانيات وعلم الاجتماع، وتمشيًا ميدانيًا مؤسسًا على ملاحظة الممارسات التواصلية⁸. أسّس لهذا الاتجاه بشكل خاص أعمال هايمز (Hymes)، وقد تبّناها فيما بعد واستمر في تطويرها قمبرز (Gumperz)، وارفن تريپ (Ervin.Trip)، وشرتزر (Scherzer).

انطلق هايمز من دراسة إثنية للكلام وسرعان ما وقع الإعراض عن هذه التسمية لفائدة مصطلح التواصل الذي يسمح بإقصاء هيمنة الشّفاهي اعتدادا بتعدّد قنوات الممارسة اللّغوية أولاً، وبالإفاء بمشاركة الأشخاص في العلاقات الاجتماعية وبانخراطهم في نسق معارف، ومعايير ثقافية، وهذا التّصور الحركي للتّواصل بعدّه فعلا اجتماعيًا أدى به هايمز إلى تعريف مفهوم القدرة التواصلية على خلاف تشومسكي - أنها - " معرفة متضافرة بمعايير النحو ومعايير الاستعمال "تحكم خاصة التكيف السياقي للسلوكيات⁹. يقود هذا الطرح إلى نقطتين جوهريتين¹⁰:

- يستحيل على المحلل أن يفصل اللّغة عن طريقة استعمالها في مقام معيّن.
- داخل مجموعة لسانية يجب أن ينظر إليها بعدّها تنظيمًا للنّوع يشتمل على أساليب مختلفة.
- دراسة الكيفية التي يقع حسبها استنفار السّجلات المختلفة المكوّنة للرصيد اللّغوي " لشخص أو لجماعة ما.

إذن الأمر يتعلّق بجمع معطيات انطلاقًا من ملاحظة مشاركة وتحليل الوظائف المختلفة للسلوكيات التواصلية في مجموعة، بدراسة مكّوناتها المختلفة" وقد تمّ تطبيق مبادئ التحليل هذه في ميادين تنتمي إلى السّنة الإثنية (خاصة المدرسة ومختلف مؤسسات المجتمع)¹¹.

بناء على ما سبق ترسم إثنية التواصل أهدافًا تتمثّل في " البحث عن تفسيرات كلّية تدرج السّلوكات الخطابية المحليّة في إطار عام من العقائد والأفعال والمعايير المكوّنة

مقاربة في مناهج تحليل المحادثة (قضايا وحدود)

لواقع اجتماعي، أو ثقافي، وعليه فهذا التمهيد بين اللساني والاجتماعي هو الذي تحاول الدراسات المتأتمية منها جاهدة للوصف بكيفية دقيقة¹².

3.1. علم الاجتماع المعرفي لمناهج البحث العرفي لدى سيكورل (Cicourel):

من مؤسسي هذا الاتجاه سيكورل (Cicourel)، وميهان (Mehan)، وزمرمان (Zimmermann)، وغيرهم. بحيث ينطلق خلافاً للاتجاهين الأوليين من أنّ الصفة البدئية للكثير من النشاطات اليومية تظهر أنّ الطرق التي يستعملها شركاء التفاعل لتنظيم المحادثات تشكل صيغة خاصة للمعرفة الاجتماعية، التي ترتبط مع أنساق المعرفة الأخرى. وحسب سيكورل فإنّ مهمة المحادثة: "يجب أن تكون فحص عمليات إنتاج المحادثة وتفسيرها باستفاضة بالنظر إلى هذه الأنظمة المعرفية"¹³. كما أعطى دوراً مهماً لإعادة بناء "الحدس الاجتماعي". من هنا فإنّ مهمة تحليل المحادثة هي فحص قضايا إنتاج المحادثات وتفسيرها بشكل مفصل على أساس هذه الأنساق المعرفية.

إنّ الاتجاه الإدراكي (التفسيري) - الإثني المنهجي - في تحليل المحادثة لم يتأثر بـ جارفنكل وشوتس (Schutz) فحسب، بل بالنظرية الاجتماعية لـ فيبر (Weber) أيضاً. بحيث يحيل الفهم فيها - في التفاعل الاجتماعي - دوراً أساسياً. "وضع سيكورل وأتباعه في هذا التصور الكليّ مشكلات تكوين المعنى خاصة في الصدارة، حيث تتكوّن المعاني حسب تصوّرهم من خلال تطبيق إجراءات تفسيرية أو فرضيات التفاعل"¹⁴

2- الإسهام القائم على الممارسة (مدرسة جنيف): (l'Ecole de Genève).

1.2. التعريف بمدرسة جنيف: (l'Ecole de Genève)

تأسس هذا الاتجاه بـ جنيف في سويسرا، وفرنسا على يد ايدي رولي (E. Roulet)، والثنائي سبرير (Sperber) وولسون (Wilson) بمدينة ليون، ولسانيون آخرون أمثال جاك موشلر (J. Moeshler)، وكاربرات أركيوني¹⁵ (C.K. Orecchioni). اقترح كل من رولي (E. Roulet) وأوشلن (A. Auchlin) وباك موشلر (J. Moeshler) وروبتال (C. Rubattel) وشولن (M. Schelling) من خلال أعمالهم المتعلقة بدراسة المحادثة والخطاب مقارنة لـ "تمفصل الخطاب في الفرنسية المعاصرة" «l'articulation du discours en français contemporain».

مقاربة في مناهج تحليل المحادثة (قضايا وحدود)

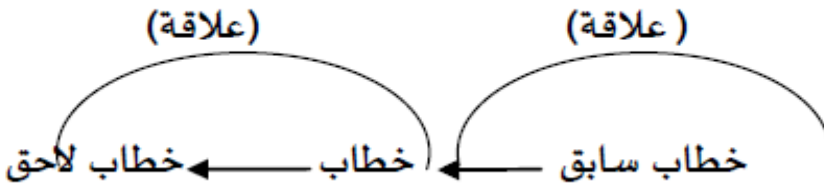
2.2. أهم مفاهيمها:

عرض لسانيو مدرسة جنيف سلسلة من التقابلات L'oppositions، والمتمثلة في: حوار فردي monologal تحاوري dialogal، حوار فردي monologique تحاوري dialogique، صوت واحد monophonie تدخل صوتين diaphonie تعدد الأصوات polyphonie، وهي تقابلات تستند على بنية المكونات الخطابية.

1.2.2. تحاورية: Dialogisme

يحيل مصطلح Dialogisme على كلّ ملفوظ من علاقات مع الملفوظات الأخرى المنجزة سابقا، وذلك مع الملفوظات الآتية التي يمكن أن ينجزها المرسل إليهم¹⁶. بمعنى أنّ أيّ قول يشتمل على أصوات آراء منسوبة إلى آخرين غير الذي قال القول. ويذهب باختين إلى أنّ ما يظنّ أنّه من قبيل الخطاب ذي النزعة الذاتية الخالصة ليس إلّا خطابا مستتبعا لخطابات خارجية أخرى، فقول المتكلّم يمكن أن يشتمل على أصوات مختلفة وكلّ صوت بصورة إيديولوجية مخصوصة¹⁷، وقد استعمل مصطلح polyphonie كمرادف للحوارية.

إنّ البعد الحواري هو ميزة كلّ خطاب، كون الخطاب يلتقي مع خطاب الغير على كلّ الدروب المؤدية إلى موضوعه. ولا يمكن له أن يندرج معه في تفاعل بشكل من الأشكال. فكلّ خطاب مهما كانت دلالاته وأبعاده الإيديولوجية لا يكون إلّا جزءا من تيار تواصلية كلامي لا ينقطع¹⁸.



3.2.2. النموذج التراتبي الوظيفي: Le modèle hiérarchique et fonctionnel

اقترح لسانيو مدرسة جنيف نموذجا تراتبيا وظيفيا « un modèle hiérarchique et fonctionnel » لتحليل الخطاب قائم على فرضية مفادها: "...المحادثة تنتظم ضمن

مقاربة في مناهج تحليل المحادثة (قضايا وحدود)

مجموعة مترتبة من وحدات تابعة لمستوى من المستويات وعلاقات أو وظائف بين هذه الوحدات. وتستجيب الوحدات/ المكونات لمبدأ التأليف التراتبي¹⁹.

4.2.2. مكونات المحادثة:

حاول الباحثون في مجال تحليل المحادثات أن يحددوا المكونات الأساسية للمحادثة، وقد اختلف هؤلاء في حصر مكوناتها، إذ نجد أيدي رولي وفريقه في كتاب* صدر سنة (1987)، وجاك موشلر في أبحاثه التي أنجزها سنة (1985)، والتي نشرها أيضا سنة (1996)* يحصرون هذه المكونات في ثلاثة عناصر هي التبادل، والتدخل، والفعل الكلامي. أمّا في العمل الصادر سنة (2001)* فقد حدّد لسانيو مدرسة جنيف خمس(ة) عناصر/ مكونات أساسية للمحادثة²⁰ وهي:

. L'incursion المخاطبة

. La transaction ؟

. L'échange التبادل

. L'intervention التدخل

. L'acte de langage الفعل اللغوي

خلاصة:

خلصنا في بحثنا هذا إلى جملة من النتائج نوردها في النقاط الآتية:
الإسهام البحثي والمنهجية العرقية (الإثنية المنهجية): الذي يرجع إلى العالم ساكس، وتمّ تطويره على أيدي مجموعة من الباحثين أمثال: شيجيغلوف، جيفرسون،... وآخرون.
الإسهامات ذات الطابع الأنثروبولوجي العرقي (إثنية التواصل): وتمثّل أعمال هايمز التي طوّت فيما بعد على أيدي جمبرز، ووافن، وتريب، وشرترز.
علم الاجتماع الإدراكي لمناهج البحث العرقي لدى سيكورل: ومجموعة من الباحثين: ميهان، وتيسمرمان.

والملاحظ أنّ الإسهامين الأولين يوجهان جزءاً كبيراً من اهتماماتهما إلى عناصر الأبنية التي تنظم بها المحادثة (أبنية افتتاح المحادثة واختتامها)، وكذا بحث

مقاربة في مناهج تحليل المحادثة (قضايا وحدود)

مجريات الاتصال في سياقات ثقافية، واجتماعية مختلفة. أما الإسهام الثالث فينطلق خلافا للاتجاهين الأولين، ذلك أنّ الصّفة البديهية للكثير من النشاطات اليومية تُظهر أنّ الطرق التي يستعملها شركاء التفاعل لتنظيم المحادثات تُشكل صيغة للمعرفة الاجتماعية التي تُربط مع أنساق أخرى. ومهمة تحليل المحادثة هي فحص قضايا إنتاج المحادثات وتفسيرها بشكل مفصل على أساس هذه الأنساق المعرفية.

وتتقاطع هذه الاتجاهات في نقاط ألخصها على النحو الآتي:

1. لا تتضح بشكل كاف إلى أي مدى تمكّنت هذه الإسهامات من تحقيق الأهداف التي وضعتها في برامجها البحثية.

2. تتفق كلّ الاتجاهات في أنّ العمل التطبيقي في تحليل المحادثة يجب أن يجري مبدئياً على أساس تسجيلات فعلية لاتّصال فعليّ.

هوامش البحث :

1 خليفة الميساوي، الوصائل في تحليل المحادثة/ دراسة في استراتيجيات الخطاب، ص44
2 خليفة الميساوي، الوصائل في تحليل المحادثة/ دراسة في استراتيجيات الخطاب ، ص 48.
*كون التخاطب مبحث لساني واجتماعي في آن واحد جعل من الطرح الاجتماعي في دراسة التخاطب طرحاً حقيقياً.

3 دومينيك منغنو، المصطلحات المفتاحية لتحليل الخطاب، ص 56.

4 باتريك شارودودومينيك منغنو، معجم تحليل الخطاب، ص 228
* الإثنية: مصطلح يدل على الأفراد الذين يعدّون أنفسهم أو يعدّهم الآخرون مشتركين في بعض السمات والخصائص التي تميّزهم عن التجمعات الأخرى في مجتمع يستطيعون في إطاره تطوير سلوكهم الثقافي الخاص.

ينظر، جوردون مارشال، موسوعة علم الاجتماع، تر: مجموعة أساتذة، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، المجلد 1، 2007، ص78.

* الإثنية المنهجية (Ethnométhodologie) : أحد مداخل علم الاجتماع، ظهر نهاية الخمسينيات، واستحوذ مضامينه من عدة مصادر لاسيما من فلسفة الظواهر، والهرمونطيقا، والتفاعلية الرمزية. يعود الفضل في وضع هذا المصطلح للعالم الأمريكي هارولد جارفنكل الذي أسس الإثنوميتودولوجيا سواء كنظرية أو كنقد واع ذاتيًا لعلم الاجتماع التقليدي. يقول جارفنكل: "إن كلمة إثنو تدل بطريقة أو بأخرى على نوع من المعرفة البديهية الإدراك العام، والمتاحة لعضو الجماعة عن مجتمعه في شتى المناحي". ينظر، جوردون مارشال، موسوعة علم الاجتماع، ص 78. و جيل فيريول، معجم مصطلحات علم الاجتماع، تر: أنسام محمد الأسعد، دار ومكتبة الهلال، ط1، بيروت، 2011، ص87.

5. باتريك شارودو ودومينيك منغنو، معجم تحليل الخطاب، ص 229.

6 ينظر، خليفة الميساوي، الوصائل في تحليل المحادثة، ص 64.

7 المرجع نفسه، ص 66.

8 باتريك شارودو ودومينيك منغنو، معجم تحليل الخطاب، ص226.

* الاثنوغرافيا: يطلق هذا المصطلح عادة على طائفة من الأعمال، سواء تلك التي بملاحظة سلوك الجماعة ملاحظة مباشرة، أو تلك التي تقوم على إعداد وصف مكتوب لذلك السلوك (...)، ويقترن هذا المصطلح بشكل عام اقترانا وثيقا بأساليب البحث في مجال الأنثربولوجيا الاجتماعية.

تعدّ الملاحظة بالمشاركة هي الأسلوب الرئيسي في البحث الإثنوغرافي.

ينظر، جوردون مارشال، موسوعة علم الاجتماع، ص 78.

9 باتريك شارودو ودومينيك منغنو، معجم تحليل الخطاب ص226-227.

10 . المرجع السابق، ص 227

11 باتريك شارودو ودومينيك منغنو، معجم تحليل الخطاب، ص 228

- 12 فولفجانغ هاينه مان ديترفمقجر، مدخل إلى علم لغة النص، تر: سعيد حسن بحري، مكتبة زهراء الشرق، مصر، 2004، ص 159
- 13 فولفجانغ هاينه مان ديترفمقجر، مدخل إلى علم لغة النص، ص 159.
- 14 ينظر، عمر بلخير، الخطاب وبعض مناهج تحليله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم الترجمة، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، ص 6.
- 15 ينظر، باتريك شارودو ودومينيك منغنو، معجم تحليل الخطاب، ص 170.
- 16 ينظر، محمد القاضي وآخرون، معجم السرديات، ص 101.
- 17 ورد المقابل العربي لهذه التقابلات على النحو الآتي:
Dialogal - dialogique - dialogue. تحاور/ تحاوري/ تحاور
ينظر باتريك شارودو ودومينيك منغنو، معجم تحليل الخطاب، ص 170. Dialogique - dialogisme. monologique تحاوري/ حوار فردي/ تحاوية
- يستخدم باختين مصطلحي (الحواري) و(الحوارية) بصورة موسّعة إلى الدرجة التي يصير فيها (الحديث الذاتي) نفسه حوارياً، بمعنى أنّ لهذا الأخير بعداً تناصبياً، ينظر، ميخائيل باختين، مبدأ التأويل الحواري، ترفخري صالح، ط2، دار فارس للنشر، الأردن، 1996، ص 126.
- 18 باتريك شارودو ودومينيك منغنو، معجم تحليل الخطاب، ص 170/170
- 19 جاك موشر، وأن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ص 518
- . n-1 يتكون من عناصر/ مكوّنات n كلّ مكوّن من الرتبة « le principe de compositions hiérarchique مبدأ التأليف التراتبي: »
- 20 Eddy Roulet et autres, un modèle et un instrument d'analyse de l'organisation du discours, PETR LANG, (2001), p53.

Christian Baylon et Bern Xavier Mignot, La /نقلا عن * Peter Lang , L'articulation du discours en français contemporain communication, P195.

* Moeshler, J, Théorie pragmatique et pragmatique conversationnel, Armand colin, Paris, 1996, P177.